البناء العلمي

المرحلة الثانية

الفصل الدراسى الأول

تفسير جزء تبارك

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



سورة الحاقَّة.

- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾.
  هذه السُّورة الكريمة سورة مكيَّة، وآياتها اثنتان وخمسون آية، وقد ورد في فضل قراءتها حديث، لكنَّ الحديثَ لا يصح: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا»[1]،
- ﴿الْحَاقَّةُ﴾ اسم من أسماء القيامة، و "حقَّت" يعني: وجبت.
- ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ ذكر بعض أهل العلم أنَّ الأفصح أن يقول: ما السؤال؟ وما الجواب؟ كما جاء في القرآن الكريم.
- قوله: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، استفهامات متعاقبة للتَّشويق والاهتمام والتَّنويه بهذه الحاقة.
- جاء الجواب: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ ثمود قوم صالح -عليه الصلاة والسلام- كذَّبوا بخبر نبيِّهم -عليه الصلاة والسلام- ولم يُصدِّقوا ما جاء به.
  وعادٌ قوم هود -عليه الصلاة والسلام- كذَّبوا بما جاء به هود.
  وهناك قاعدة أو ضابط ذكره أهل المعتقد: مَن كذَّب رسولًا واحدًا، فهو مُكَذِّبٌ لجميع الرُّسل.
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ ، القارعة هي الحاقَّة، وهي لما سيكون من البعث في يوم القيامة، والحساب، والجزاء، وهذا الأمر صعب على كثير من مُخالفي الأنبياء؛ لأنَّهم حكَّموا عقولهم، ولم يحكِّموها ببصيرة، بل بهوًى، وبمجرد تقليد مَن سَبَقهم.
- وفي هذه الآية الكريمة أيضًا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ جاء وصف لنوع العذاب بإجمال.

---

[1] قال ابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف (موضوع)

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ ، طغوا وتكبروا، خطيئتهم عظيمة، ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ ، قيل: بما طغوا، وقيل: الطَّاغية هي الصَّيحة التي عاقب الله بها قوم صالح.
- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

الفرق بين "الريح والرياح":

✓ ذَكَرَ بعضهم أنَّ الرياح أتت في القرآن الكريم بالرحمة : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22]، ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: 46].

✓ أمَّا الريح فجاءت بالعذاب : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41]، وهنا: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾.

- الريح الصرصر: هي الرِّيح الشَّديدة في البرودة والهبوب.

إذا اجتمع في الرِّيح قوَّة اندفاع، وصوت مزعج، وكان فيها برودة أو حرارة، فهذا أشدُّ على من تُسَلَّط عليه. وعذاب الأمم يتنوع، ولله تعالى في ذلك حكمة، فقوم يهلكون بالغرق، وقوم يهلكون بالصَّيحة، وقوم يهلكون بالريح ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: 4].

- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: بقيت هذه الريح أيامًا، فلو بقيت لحظات لكانت مؤلمة ومزعجة، فكيف إذا بقيت ساعة! فكيف إذا بقيت أيامًا!
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أسبوعًا كاملًا وليلةً، وهذا الوقت جزء يسير منه يكفي في أن يتعذَّب ويتألم أصحابه، فكيف بها مجتمعة متوالية؟!
- ويقولون: إنَّ اليوم والليلة إذا اجتمعا يفترقان، وإذا افترقا يجتمعان، مثلًا في سورة هود، في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، تشمل الليالي والأيام، وفي قوله ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ جمعها وفرَّقها، أي: سواد الليل وبياض النهار.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ يقصُّ الله تعالى أخبار هؤلاء للعِبرة والاعتبار.

"فرعون" اسم لِمَن مَلَكَ مصر، "النجاشي" وصف يطلق على شخص يحكم الحبشة ، و"كسرى" وصف يطلق على شخص يحكم الفرس،و"هرقل" وصف على شخص يحكم الروم، و"المقوقس" وصف على شخص يحكم الأقباط.

- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾ فرعون، يقال: إنَّ اسمه رمسيس الثاني، وهذا يسمونه فرعون موسى.

- قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ هم قوم لوط -عليه الصَّلاة والسَّلام- وإفكهم: هو عمل الفاحشة في الذكران من العالمين، وهذا العمل تأباه المروءة، وتأباه النفوس، وتأباه الطباع، فهم خرجوا عن الفطرة بهذا العمل المشين القبيح.
- قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ لا يظلم ربك أحدًا، يُعطي مَن يشاء بفضله، ويُعاقب مَن يشاء بعدله، فأخذهم أخذةً رَّابيةً، وفي الآية الأخرى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 42].
الرَّابية: الزائدة، القويَّة، الشَّديدة، ومنه الرِّبا: أي: الزيادة، والرَّبوة: الأرض المرتفعة الزائدة عن سطح الأرض.
- قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ بعدله، ولا يَظلم رَبُّك أحدًا.
- قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ في وقت نوح -عليه السلام- لما جاء الطوفان والغرق عقوبة مِن الله لقوم نوح، استُثني قوم نجَّاهم الله تعالى مع نوح -عليه السلام- وهم أصحاب السَّفينة، ومع طول مدة نوح -عليه السلام- وتنوع أساليب دعوته لقومه، ولين نوح -عليه السلام- وجميع الأنبياء مع أقوامهم، إلا أنَّهم طغوا وبغوا، وما آمن معه إلا قليل.
- قيل إنَّ المقصود بـ"الجارية" في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: السَّفينة، الفلك المشحون، وقيل: حملناكم في أصلاب آبائكم.
- وقال بعضهم في قولهم: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ كل ما رأوا السفن، تذكَّروا السفينة الأولى، التي جعلها الله تعالى نجاةً لنوحٍ -عليه السلام- وقومه المؤمنين، وتذكَّروا أنَّ هذه مِن نِعم الله أن حمل المؤمنين، وبقيَ مَن في أصلابهم إلى هذه السَّاعة.
ويستفاد من هذا أنَّ الإنسان إذا رأى شيئًا يذكِّره بالنِّعم يتَّعظ، ويحمد الله -عز وجل- وفي المقابل إذا رأى شيئًا يذكره بالنِّقم يتَّعظ ويخشى الله.
- قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا﴾ **المواعظ التي نسمعها لا تنفع أصحابها إلا إذا توفر فيهم أمور:**
  - ❖ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ [الأعلى: 9- 11]، الذكرى تنفع من يخشى.
  - ❖ والعمل بالموعظة إذا سمعها الإنسان، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾، أي العمل بالموعظة، ومن ثمار انتفاعه: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدين، والدنيا، والبرزخ، والآخرة، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: 66]، ثباتًا على القول السليم، والفعل السليم، والنهج السليم ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: 67، 68].
  - ❖ قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ مجرد السمع لا يكفي، فالكل يسمع الكلام، حتى الدواب تسمع والطيور، والجن يسمعون، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: 1]، لكن يختلف هذا السماع، فالبهائم غير مكلفة لما تسمع، لكن هؤلاء الإنس والجن يسمعون الذِّكر، ويسمعون الأوامر والنواهي، فمجرد السَّماع لا يكفي إذا لم يصاحبه وعي وتقبُّل وانقياد في فعل الطاعات، وانقياد لتجنُّب وترك الخطيئات.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ، جاء في الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ»[٢]، الصُّورمن أسمائه النَّاقور، والقرن.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ النفخات في الصُّورِ ذكر أهل العلم فيها كلامًا:
  - ✓ فمنهم من قال: إنَّ النفخ نفختان، واحتجَّوا بآية الزُّمر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، قالوا: هاتان نفختان: نفخة الصعق، ونفخة القيام.
  - ✓ وقال بعضهم: بل هي نفخات ثلاث، الثالثة نفخة الفزع، سورة النمل: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: 87]، وابن حزم -رحمه الله تعالى- يرى أنَّها أربع نفخات.

وأمَّا الجواب عن مَن قال إنَّها ثلاث نفخات، قال النفخة الأولى: أولها فزع ثم يصعقون، هذه واحدة طويلة. والنفخة الثانية: التي هي القيام.

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هذا النَّفخ من أشراط السَّاعة الكبرى، وهذا النفخ يتولاه أحد الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- الموكَّل بالنَّفخ في الصُّورِ، اسمه إسرافيل.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ، هذا المقام مقام فزع، كما ذكر الله أنَّ النَّاس يفزعون، بل يُصعقون، فإذا قرأ الإنسان مثل هذه الآيات، ينبغي أن يقف عندها، وهو يرى الصوت الرفيع للرياح في الدنيا يكون مزعجًا وفيه خوف وقلق، مع أنَّها وقتيَّة وتنتهي، ثم تستمر الحياة بعدها، فكيف في موقف قد أُخبرنا أنَّه نهاية الدنيا، وأن بعده حساب وعقاب، لطف الله بالجميع.

- قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ هنا تتغير سننٌ كونيَّة، وجاء القرآن الكريم في مواضع كثيرة بهذا، نحو قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: 10]، وهكذا.

هنا قال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ عَطَفَ الجبالَ على الأرضِ، وَعَطْف الخاصّ على العامّ له نظائر في القرآن الكريم، ومنه قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: 98] فجبريل وميكال من الملائكة، لكن خصَّهم بالذِّكر؛ لأنَّ عداوتهم أشدُّ من غيرهم.

والخاص إذا عُطف على العام يكون تبينًا لمنزلة وعظيم شأن ذلك المخصوص -المعطوف على العموم الذي في ضمنه- وقد يُقال: إنَّ الأرض خُلقت قبل الجبال، لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: 15]، فقد يقال إنَّها منفصلة.

---

[٢] سنن الترمذي (3243) وصححه الألباني.

- قال تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ، هناك جبال شُقَّت وأُزيلت، ويمكننا الربط مع هذا ليذكرنا بعلامات الساعة، فهذه الجبال التي يأخذ فيها البشر سنوات لفتح نفق فيها، أو توسيع الطريق، في قدرة الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105].

وللفائدة: جاء حديث: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تزولَ الجبالُ عن أماكنِها»[٣]، والآن نرى بعض الجبال غُيِّرت من حيث العمل في الطرق، فقد يكون المراد بزوالها في الدنيا، أي: تزول عن أماكنها أو تغير أماكنها، وقد يكون المراد في الآخرة قطعًا كما في الآيات، لكن قد يُقال: إنَّ مما نراه الآن من إزالة بعض الجبال، وشق الأنفاق، وقطع بعض الجبال للتَّوسعة، أن يكون هذا من أخبار السَّاعة.

- قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني: قامت القيامة التي جاءت علاماتها توطئةً ومقدمةً لها لتحقق وقوعها، ومن حكمة الله ورحمته أنَّ هناك مقدمات لهذه القيامة، وهذا فيه فوائد: منها رحمة الله تعالى بالخلق، فعلامات الساعة وأشراط الساعة التي جاء الوحي بها هي نُذُر؛ ليتَّعظ ويتنبَّه الغافل، ويزداد الطائع ثباتًا.

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

- ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ، جاءت سورة الانشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، الانفطار: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾، وهنا كما في الآية السابقة ﴿وَاهِيَةٌ﴾ وَهَى أمرها، أي: ذهب سمكها وقوتها حينما أمرها الله تعالى فانشقت.

- قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الأرجاء هي الأطراف، قيل: يبقون على أطرافها بعد انشقاقها.

الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- خلقٌ من خلقِ الله، مخلوقون من نور كما في النصوص، ولهم صفات خَلقية، وخُلقية.

✓ من الصفات الخَلقية: في سورة فاطر ذكر الله بعضها: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: 1].

✓ ومن الصفات الخُلقية: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»[٤].

وقال بعضهم: العقلاء من خلق الله هم: الإنس، والجن، والملائكة، وأولهم خلقًا هم الملائكة، ثم الجن، ثم الإنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر:26، 27].

الإيمان بالملائكة -عليهم الصَّلاة والسَّلام- من أصول الإيمان الستة، وقد أخبرنا الله تعالى ببعضهم، وببعض وظائفهم، وهم كُثُر ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31]. ودليل كثرتهم: حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «البيتُ المعمورُ، يصلي فيه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه»[٥].

---

[٣] السلسلة الصحيحة للألباني (3061)

[٤] صحيح مسلم (2401).

[٥] مسند الإمام أحمد (88/4) وصححه أحمد شاكر.

- قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾
- حملة العرش -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ثمانية، وهناك مَن يقول: إنَّهم أربعة في الدنيا، وفي الآخرة يكونوا ثمانية، ويحتجُّون بآثارٍ،

وقال بعضهم: إنَّ الملائكة كُثُر، وهم ثمانية صفوف يحملون العرش، لكن النص ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ عددًا ما بين السبعة والتسعة.

- قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ ، العرش عرشٌ حقيقي، جاء ذكره في القرآن الكريم في آيات كثيرة، والله تعالى استوى عليه استواءً يليق بجلالته وعظمته، من دون تمثيل أو تشبيه أو تكييف، وذُكر الاستواء في سبع آيات.
  - والعرش في اللغة: سرير الملك.
  - وفي الاصطلاح: هو عرش الرحمن، عرش حقيقي، له صفات، **ذكر بعضهم منها:**

١) أنه أعلى المخلوقات.

٢) وأثقل الموزونات «سبحان اللهِ وبحمدِه، عددَ خلقِه ورضَا نفسِه وزِنَةِ عرشِه»[٦].

٣) وأرفع المخلوقات.

من صفات العرش: أنَّ له قوائم، قال -عليه الصلاة والسلام: «فَأَكُونُ أولَ مَن يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائِمِ العرشِ»[٧].

من صفات العرش: أنَّه بهي المنظر، أي: جميل الشكل لطيف. من أين أخذ أهل العلم هذا الوصف؟

قالوا: رب العرش الكريم، والكريم في لغة العرب تطلق على مقابل البخيل، وعلى الجميل البهي المنظر، ولهذا جاء قوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]، استقر في الأذهان أنَّ الملائكة على صور جميلة، وكما في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 6]، يعني: ذو هيئة حسنة.

ومن الأدلَّة على أنَّ الكريم يُطلق على الجميل قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10]، أي: شكل جميل ولطيف.

- قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾.

بعض الضُّلَّال، أو بعض الطوائف من الجهميَّة، يقولون: إنَّ العرش هنا هو المُلك، حتى ينفون العرش. وهذا قول باطل، فالعرش من ضِمن مُلك الله تعالى.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ذكر بعض أهل العلم أنَّ العرض يكون أكثر من مرة، والدليل في قوله -سبحانه وتعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: 48]، وجاء في حديث أن العرض ثلاث مرات:
  - **الأول:** عرض الجدل. يجادل الإنسان في طلب حقه وحقه محفوظ له.

---

[٦] صحيح مسلم (2726).

[٧] صحيح البخاري (6421).

❖ **الثاني:** عرض المعاذير، يعتذرون.

❖ **الثالث:** العرض الأخير، فتتطاير الصحف، فآخذٌ كتابه باليمين -جعلنا الله وإياكم والسامعين والمشاهدين من هؤلاء- وآخذٌ كتابه بالشِّمال -أعاذنا الله.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ نستفيد أن هذه المقامات تزيد العبد في الدنيا خوفًا، وأن الإنسان مهما فعل في الدنيا من المعاصي سواءً بنفسه، أو أضرَّ بالآخرين، ولو اختفى في أعمق مكان، وأظلم مكان، وأبعد مكان، فلا يخفى أمره على الله، وسيحاسب على كل شيء، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19]، فإذا استشعر وعرف الإنسان أنَّه سيحاسب، وسيُصعق عند النفخ، وسيقوم، وسيحاسب بما فعله إذا كان منهي عن فعله، بما ترك إذا كان مأمور بما تركه؛ فيزداد من الله خوفًا، وله حُبًّا.
- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا﴾ أي اقرؤوا، خذوا، وانظروا، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، قال بعضهم: لماذا ذكر الهاء في قوله ﴿كِتَابِيَهْ﴾؟
- قال تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ فرِح بهذا الكتاب؛ لأنَّه أخذه بيمينه، وهذه علامة الخير، فإذا أخذ الإنسان في الدنيا شهادة أو ظفر بشيءٍ فيه فوز؛ فإنَّه يُطلع عليه أحبته وإخوانه من باب المشاركة لهم حتى يشاركونه في فرحه، ويبشِّرهم بما بُشِّرَ به.
- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ يعني: أيقنت، سيلاقي ما قدَّم في الدنيا، وما وفَّقه الله تعالى وهداه له من الخيرات فعلًا، ومن المنكرات تركًا واجتنابًا.

قال تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

- قال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ كل هذه بشائر، أخذ الكتاب باليمين، هذا من أول الخير له، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ لا يكدِّرها كدر، ولا يزيلُها أحد من الخلق، بل هذه تبقى له دائمًا، خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا.
- وانظر آيات النعيم: العيش في رضا، وفي علو ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، ومن النعيم، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، أي: قريبة، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54].
- ثم قال أيضًا من النعيم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ كلوا بنكد؟ واشربوا بنكد؟ لا، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ ثم يذكِّرهم بنعمته عليهم: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، كلها نِعَم، عيشة راضية، ومقام رفيع، والثِّمار قريبة بالتَّناول، قد يكون أحيانًا الإنسان في بستان، لكن الثمر بعيد ما يتلذذ بأكله.
- وأكلهم وشربهم بأمرٍ من الله أو من الملائكة، ﴿هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، إذا كان الأكل بنكد وتعب ما يهنأ به، لكنهم ينالون أكلًا، وعيشًا راضيًا، ومنزلةً رفيعةً، وقطوفًا دانيةً، ودعوةً للأكل بهناءة، وتذكيرًا لهم بما قدَّموا ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ في الدنيا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

